وميض الموت !

كـل شـئ زائـل .. ونحـن الـذين نعطيـه قيمتـه وأهميتـه .. ثـم نتـألم ونتعذب من أجل هذه الأهمية المزعومة ..”

د. مصطفى محمود

نهضت اليوم رغم عدم شبعي من النوم مسرعة مهرولة من أجل اللحاق بزحام الحياة ورتابة العمل المملة ، فالنوم أحيانا يعد من أحلامي التي ألهث لاقتناص أكبر قدرمنها ولكن بدون جدوى .

واسـيقظت لأذهـب لعملـي كمـا أنـا معتـادة يوميـا ؛ ذهبـت ليتنسـم وجهـي بعض قطرات الماء في ذلك الحر الشديد.

وبعـدما لمسـت بشـرتي المـاء و أخـذت تتسـاقط بـبطء منزلقـة فـي هـدوء واستسـلام ؛ نظـرت فـي المـرآة كالعـادة ولكـن تسـمرت حينهـا مـن الفـزع ...ما هذا ... أين انا ؟! أين وجهي و لمن تلك الملامح المفزعة ؟

أيـن عينـاي الجميلـة ذات الرمـوش المتانقـة ..أيـن أنفـي الـدقيق ... مـا هـذا التجويف الغريب المرعب الذي أراه؟

أين شعري الذي ينسدل على كتفي ؟!

أين فمي المفعم بالحمرة والحيوية !

أين وجههي كله !

كتمـت خـوفي بـداخلي لأنـي كنـت أتـيقن أن مـا أراه لـيس حقيقيـاً وأنـي فـي كابوس كئيب.

لكـن كـل شـئ عـاد بسـرعة الـي أصـله ونظـرت مجـدداً فـي المـرآة ، وجدت وجهي كما هو بكل تفاصيله.

علمت وقتها أنها كانت ومضة الموت ، نظرة تأمل فجائية تأتي للأنسان في حين غفلة لتنبهه بما سيكون عليه حاله بعد الموت !

علمت أن تلك شاكلتي التي ساكون عليها عندما أتدثر بالتراب و أرقد في قبري .

بالفعل كنت أفكر منذ مدة كبيرة في أمور كثيرة ،كنت أتطلع الي مشاكلي وأسبابها...

كنت أشعر بنفسي ،بهيبتي ، بكياني ، وبشخصيتي .

لم أنس ذلك اليوم الذي نظرت فيه لزميلتي نظرة ازدراء لأنها جاءت للعمل بحذاء حقير لا يمت للفخامة أوالأناقة بصلة ...كم من مرة نصحتها بأن تشتري حذاءا واحدا غاليا ؛ فهو خير من مجموعة الحقائب والأحذية الرخيصة التي تزهو بها وعلي وجهها ابتسامة حمقاء .

لن أنس ردها الذي جعلني أفكر في الموت بعمق وجعلت ومضات الموت تأتيني من حين لأخر

"كلها زائلة عزيزتي فلن تاخذين معك في مدفنك الحذاء الفخم أو الرخيص المهم أن يغدو القلب سعيداً"

كم من مرة تفاخرت أمام الآخرين بنسبي وعائلتي؛ كم من مرة وضعت للمال اعتبار في أمور كثيرة في حياتي ، كم سعدت بهمهمات الآخرين وانا أظنهم يحسدونني علي ما أملك من مال وجمال وحسب ونسب.

كانت كل رؤيتي للأمور من خلال منظار المال الذي يعكر صفوتلك الأمور البسيطة الصغيرة السعيدة الدافئة ويسري قشعريرة الحزن وحب التملك في أبداننا وعقولنا وحياتنا كلها .

كانت ومضات الموت تلاحقني في كل مكان ليس فقط أمام المراة ، كانت تريد تنبيهي ، كانت حزينة من أجل ضياع وقتي وفكري فيما لا

يهم ، الغريب إن كلمة موت كانت تمرمن أمامي كثيرا مبتغية لفت انتباهي كي أسمعها ،أفهمها ،أراها أشعر بها ولكن دون جدوى ، كنت صماء ،عمياء ،لا أري سوى لغة واحدة هي لغة المال، لغة التعالي ،لغة التانق والظهور،لغة ثقيلة تتعب كاهل من يتباهى بها ؛ تجرده من الإحساس بالآخرين وللشعور بالسعادة الحقيقية ، تسترق الشعور بالسعادة بأبسط الأشياء كالنظر إلى الطبيعة أو الإستمتاع بنسمات الهواء اللطيفة التي تتراقص على الجبين ، وتحيي النفس و تعيد الروح إلى داوخلك ، تفسد الصداقة ، تحجب الحب عن الدخول إلي الأعماق فهي تقف بالمرصاد تقتنص كل مشاعر رقيقة حقيقية وترفضها.

لم أكن أدرك أن لغة الشرف الحقيقة هي الصدق، هي العطاء ،هي الشفافية ... مسكينة أنا ؛ فقد كنت أستمع لمصمصات الشفاه استنكارا لحالي ، كنت أظنها حسداً؛ قبيح هو الوهم حين يحاوطك من كل اتجاه ولا يسمح لك برؤية أي شئ غير شاشته ، ينقل لك كل مايريده فقط ويبدل الحقيقة برياء كاذب ليستمتع بضحكاته المتوهجة على فقر رؤيتك وسذاجة تصديقك له .

شكراً لك أيتها الومضات الرقيقة ، رغم فظاظة ما تحملينه ولكنك تحملين جوف الحقيقة ، والتي أحاول أن أتناساها وأنكرها ، أدعي أنها هي من تختبىء مني ، لكن أنا من لا أريد مواجهتها، أهنئك لأنكِ أفقتيني من سراب و عريتِ أمامي الجواهر المزيفة وأظهرتِ لي مقدار كل شئ.
يا ومضات الموت ... لن تغادري خلدي حتى تأتيني سكراتك .